

أثر اعتبار المقاصد القرآنية في الدراسات التفسيرية المعاصرة

تفسير (التحرير والتنوير) أنموذجا

من إعداد الدكتورة: مريم بوعافية

° أستاذ محاضر ب°

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة

مداخلة في الملتقى الوطني: الدراسات القرآنية في العصر الحديث

الواقع والآفاق

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر

تاريخ عقد الملتقى: 06 ديسمبر 2022م

الملخص:

توظيف المقاصد أثناء تفسير القرآن الكريم عرف عند سلف المفسرين ولكن ليس بالتفصيل، أما عند المتأخرين فقد عني غير واحد منهم بالمقاصد القرآنية وتفصيلها، فقد أدركوا الحاجة الماسة إلى اعتبارها، إبرازا لمحاسن القرآن الكريم ودفعاً للتأويلات الفاسدة، وسعوا إلى تفعيل التجديد المنشود في علم التفسير من خلال فهم النصوص فهما مقاصديا والاجتهاد في وسائل تنزيلها على الواقع. وقد اخترت منهم محمد الطاهر ابن عاشور لكونه من رواد الاتجاه المقاصدي في التفسير في العصر الحديث، إضافة إلى أهمية ما وقفت عليه من نماذج تطبيقية في تفسيره مقارنة بغيره، فلم يكن غرضه التنظير فقط للمقاصد القرآنية، وإنما قصد إعمالها وتوظيفها في ضبط عملية التفسير والفهم والبيان. الكلمات المفتاحية: المقاصد القرآنية، الدراسات التفسيرية، محمد الطاهر ابن عاشور

The Impact of Considering the Qur'anic Intentions in Contemporary Interpretation Studies

Abstract:

Employing the intentions during the interpretation of the Holy Qur'an was known to the predecessors of the interpreters, but not in detail. They sought to activate the desired renewal in the science of interpretation through understanding the texts in an intentional understanding and diligence in the means of downloading them on reality. I chose Muhammad al-Taher Ibn Ashour from them because he is one of the pioneers of the intentional trend in interpretation in the modern era, in addition to the importance of the applied models I stood on in his interpretation in comparison. Its purpose was not only theorization of the Quranic purposes, but rather its implementation and employment in controlling the process of interpretation, understanding and clarification.

Keywords: *Quranic purposes, interpretive studies, Muhammad Al-Taher Ibn Ashour.*

مقدمة:

تضمن القرآن الكريم أرقى المقاصد وأجلها، وأعلى المصالح وأعظمها، ذلك أن غاية ما جاء به هو جلب مصالح العباد ودرء المفساد عنهم؛ ويعد علم التفسير من أبرز علوم الشريعة المحققة لمصالح العباد، فهو السبيل الأول لبيان معاني الآيات وما يستفاد منها.

ومن أجل ذلك فإن معرفة المفسر بالمقاصد القرآنية وحرصه على توظيفها والاعتداد بها له عظيم الأثر في تفسيره لكتاب الله ﷻ، والوصول إلى الحق في بيان دقائق معانيه، وتيسير فهمه وتدبره، والتبحر في دلالاته.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- في معنى قوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن أ على ثوب أفعالها" محمد: ٢٤ "التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل لهم تدبر".

وتوظيف المقاصد عند تفسير القرآن الكريم عرف عند سلف المفسرين ولكن ليس بالتفصيل، أما المتأخرون فقد عني غير واحد منهم بالمقاصد القرآنية وتفصيلها، فقد أدركوا الحاجة الماسة إلى اعتبارها، إبرازا لمحاسن القرآن الكريم ودفعاً للتأويلات الفاسدة، وسعوا إلى تفعيل التجديد المنشود في علم التفسير من خلال فهم النصوص فهما مقاصديا والاجتهاد في وسائل تنزيلها على الواقع، وهذا التوجه الذي دعا أصحابه إلى تجلية المقاصد القرآنية بأسلوب حديث يلي حاجة المسلم المعاصر، دون استعانة بمنهج خارجية، قابله ظهور توجهات أخرى اختلفت معه في المنهج وآلية التطبيق فظهرت جملة من التناولات الحدائية المنفلتة.

ومن أجل ما سبق جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ "أثر اعتبار المقاصد القرآنية في الدراسات التفسيرية المعاصرة" لتسهم في تكوين رؤية منهجية حول أثر تفعيل المقاصد القرآنية في التفسير عند أصحاب التجديد المنضبط، ولتبرز حظ الفهم المقاصدي الذي يعدّ من أهم الدعائم المنهجية في الاجتهاد المعاصر ومقاربة القضايا المستجدة، عند مفسر معاصراهتم بتجلية المقاصد القرآنية بالاستناد على منهج السلف.

واخترت محمد الطاهر ابن عاشور لكونه من رواد الاتجاه المقاصدي في التفسير في العصر الحديث، إضافة إلى أهمية ما وقفت عليه من نماذج تطبيقية في تفسيره مقارنة بغيره، فلم يكن غرضه التنظير فقط للمقاصد القرآنية، وإنما قصد إعمالها وتوظيفها في ضبط عملية التفسير والفهم والبيان.

مشكلة البحث:

يطرح هذا البحث إشكالا رئيسيا وهو: هل أثار اعتبار المقاصد القرآنية على تفسير التحرير والتنوير؟

وتندرج تحته جملة من التساؤلات الفرعية ومن أهمها: ما مدى إيفاء محمد الطاهر بن عاشور بمقاصد القرآن الكريم؟ هل عني بربط مقاصد القرآن بالهدايات القرآنية وما أنزلت الآيات لأجله؟

خطة البحث:... من أجل التفصيل فيما سبق بيانه تم تقسيم مضمون المداخلة بعد المقدمة والمدخل التمهيدي إلى مطلبين تعقيهما خاتمة.

المطلب الأول: أثار اعتبار المقاصد القرآنية في فهم معاني الآيات والترجيح بينها.

الفرع الأول: أثر المعرفة بالمقاصد في بيان معاني الآيات.

الفرع الثاني: أثر المعرفة بالمقاصد في التوفيق والترجيح بين معاني الآيات.

المطلب الثاني: أثر مقاصد القرآن في بيان إعجازه واستنباط حكمه وأحكامه.

الفرع الأول: أثر مقاصد القرآن في بيان إعجاز القرآن.

الفرع الثاني: أثر مقاصد القرآن في استنباط حكمه وأحكامه.

وأثناء عرض مضمون البحث سأجتهد في ذكر النماذج التطبيقية من تفسير التحرير والتنوير في محاولة لاستخلاص مميزات الدرس المقاصدي المعاصر ذي الأصول التجديدية المنضبطة، والتعرف على أبعاده، وأثره في بيان المعاني؛ فتكون بذلك هذه المداخلة لبنة في محاولة بناء منهجية مقاصدية لفهم القرآن الكريم إذ إن وفاء المفسر بمقاصد التفسير مرتبط بمدى وفائه بمقاصد القرآن الكريم.

مدخل تمهيدي.

يحسن الباحث قبل أن يلج غمار بحثه أن يقدم له بتمهيد يُسهّم في إعطاء تصور عام حوله، ومن هذا الباب ضمنت البحث مدخلا تمهيديا أعرف فيه بالمصطلحات الأساسية لعنوان المداخلة إذ لا بد أولا من تحديد المراد من مقاصد القرآن التي أبحث عن أثرها في التفسير، لمعرفة خصوصية استعمال هذا المصطلح في مجال التفسير؛ ثم انتقل إلى بيان صلة المقاصد بتفسير القرآن الكريم، وأختم المبحث بذكر ضوابط الفهم المقاصدي في تفسير القرآن الكريم وموانعه باختصار، لأن فكرة المقصد ينبغي أن تكون هي الفكرة الجوهرية في التفسير، والمنطلق الذي يجب أن لا يحيد عنه المفسر، علاوة على ما ينبغي أن يتوفر له من أدوات علمية ومنهجية وموضوعية تمكنه من الكشف عن المعنى والمقصد.

أولا: تعريف مقاصد القرآن الكريم.

تطلق عبارة مقاصد القرآن ويراد بها: "مجموع المعاني والحكم والغايات العليا المنثورة في ثنايا السور والآيات والفواصل والأجزاء والأحزاب القرآنية والتي تشكل مراد الله عز وجل من إنزاله القرآن الكريم على المكلفين في الدين"⁽¹⁾.

وقيل هي: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد"⁽²⁾.

وهنا أردت أن أوضح أكثر ببيان المراد من التفسير المقاصدي باعتباره المقصود في هذا البحث، أي التفسير المقاصدي عند المفسرين المعاصرين، وهذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التي عرفت عند المعاصرين تنظيرا وتطبيقا، بينما أثبتتها سلفهم تطبيقا فقط؛ إذ التفسير المقاصدي هو هدف ومغزى لكل مفسر مدرك لهدايات القرآن، لذا فهو يطلق ويراد به: "ذلك التفسير الذي يبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم وتوسيع دلالاتها اللغوية، مع بيان الحكم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن وشرعت من أجلها الأحكام"⁽³⁾.

والتفسير المقاصدي يعتمد المصالح المعتبرة والمقاصد الشرعية المرعية في تفسير القرآن الكريم إذ "يستلهم الحكم والمصالح التي جاءت النصوص لغايتها مسترشدا بما عرف من عادة الشرع في الأحكام مستعينا بروح الشريعة وعللها المنصوصة وأحكامها المستنبطة، فإذا ما توصل

⁽¹⁾ _ الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن الكريم، محمد المنتار، ص 7 .

⁽²⁾ _ مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم الحامدي، ص 9! .

⁽³⁾ _ الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان الأطرش ونشوان عبده قائد، ص 13 .

إلى هذه الحكمة وتعرف على المصلحة فسر النص في ضوءها وحدد نطاق تطبيقه ومجال إعماله على أساسها"⁽¹⁾.

وقد حثَّ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور على النظر فيها وتوظيفها في التفسير، يقول:
"أليس وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها؟... فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بآتم بيان يتحملة المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن..."⁽²⁾.

ثانياً: صلة المقاصد بتفسير القرآن الكريم.

- يعد اعتبار المقاصد في تفسير القرآن الكريم من السبل الكاشفة لمحاسنه وهداياته، الموصلة للمقصد الأعلى منه وهو صلاح أحوال العباد، يقول ابن عاشور: "إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة ورحمة لهم، لتبليغهم مراد الله، قال تعالى: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء...." فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية"⁽³⁾.

- تعين المعرفة بالمقاصد على تفسير القرآن الكريم وتيسير فهمه وتدبره: "فمعرفة المقاصد من أهم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحاً، ويوصل إلى معرفة الحق من تفسير القرآن والتبحر في دلالاته وهداياته ودقائق معانيه"⁽⁴⁾.

- الإحاطة بمقاصد الشارع ركن في استنباط الأحكام والحكم: "مما لا ريب فيه أن معرفة قصد المتكلم أدعى لفهم كلامه وتطبيقه، فإذا كان هذا الحال بصفة عامة، فهو بالنسبة لكلام الشارع أكد، لهذا اعتبر علماء الأصول أن استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لا بد له من ركنين أساسيين أولهما: العلم باللغة العربية والحدق بها....، وثانيهما: العلم بمقاصد الشارع لمعرفة المعنى المقصود من ظاهر اللفظ"⁽⁵⁾.

- يسهم العلم بالمقاصد في العصمة من الانحراف في التفسير والوقوع في التأويلات الفاسدة المجانبة للصواب، إذ من أسباب الزيغ في تفسير القرآن وتأويله الجهل بمقاصده، يقول الإمام

¹⁾ _ مقاصد القرآن عند ابن تيمية، البدوي، ص 16 | .

²⁾ _ التحرير والتنوير، ج ، ص 9- 10 .

³⁾ _ التحرير والتنوير، ج ، ص 18 .

⁴⁾ _ علم مقاصد السور، محمد عبد الله ربيعة، ص 12 | .

⁵⁾ _ الفهم المقاصدي، مبارك المصري، ص 10 .

الشاطبي: "فمن فهم مراد الله تعالى من كلامه لم يتجرأ عليه بالتحايل تبديلاً وتغييراً، وكذلك من وقف على مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المقاصد، فإنه يكون قد قصر في فهم مراد الله، وكذا من ابتدعه المشبهة والمعطلة في آيات الصفات، يعود هذا إلى الخلل في فهم مقاصد الثرآن، ومراد الله من خطابه"⁽¹⁾.

وهذه النقاط وغيرها تطلعننا على منزلة العلم بالمقاصد، وضرورتها بالنسبة لمن أراد أن يفسر كتاب الله عز وجل، وقد أدرك هذا المفسرون المعاصرون وعلى رأسهم ابن عاشور، يقول: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً"⁽²⁾.

ثالثاً: ضوابط أعمال المقاصد في تفسير القرآن الكريم.

يرتكز أعمال المقاصد في تفسير القرآن الكريم على قواعد وضوابط تؤطر عملية الفهم وترسم لها آفاقاً وحدوداً، كما تصد الباب أمام أصحاب النوايا الخبيثة أدعاء المقاصد والاجتهاد، ومن هذه القواعد الضابطة:

- الاستعانة بالله في فهم خطابه مع التجرد والإخلاص والتقوى.
- معرفة القرآن الكريم والسنة المطهرة وعلومها.
- إتباع منهج السلف في فهم القرآن وأبعاده المقاصدية.
- الإلمام بعلوم العربية وأساليبها المتنوعة.
- فهم السياق القرآني.
- معرفة أسباب النزول.
- العمل والتطبيق لكل ما تم فهمه من القرآن في واقع الحياة⁽³⁾.

¹ - الموافقات، ج ، ص 190.

² - التحرير والتنوير، ج ، ص 11.

³ - ينظر تفصيل هذه الضوابط : التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، مبارك المصري، ص 2.

المطلب الأول: أثر اعتبار المقاصد القرآنية في فهم معاني الآيات والترجيح بينها.

تمثل المقاصد القرآنية البوابة الأساسية لفهم الرسالة القرآنية ومعانيها التفصيلية، إذ أن فهم معاني الآيات والتبحر في دلالتها وفهم سياقاتها لا يتأتى إلا بمعرفة المقاصد؛ بل إن عاشور جعل دور المفسر هو بيان مقاصد القرآن التي نزل من أجلها.

والاهتمام بالمقاصد عند التفسير أو -التفسير المقاصدي- عرف عند سلف المفسرين ولكن ليس على سبيل التفصيل بل بينوها على وجه الإجمال، بينما عُني بإبرازها والتفصيل فيها عدد من المفسرين المعاصرين، اجتهادا منهم في ربط الأحكام بحكمها والآيات بمقاصدها وغاياتها، ولعل من أشهرهم الإمام ابن عاشور وهو القائل: "معاني القرآن الكريم ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة في آياته"⁽¹⁾، وهذه المقاصد يحتكم إليها في التفسير إذ لها دور في بيان ما تضمنته الآيات من معان وتوضيح دلالات أو الترجيح بينها.

الفرع الأول: أثر المعرفة بالمقاصد في بيان معاني الآيات.

يسهم توظيف المقاصد القرآنية أثناء تفسير القرآن الكريم في فهم مرادات الوحي في باب العقائد والأخلاق والأحكام وحسن توجيهها والاستفادة منها، وفيما يأتي عرض لنماذج من ذلك عند محمد الطاهر ابن عاشور.

• صلاح الاعتقاد أسمى المقاصد التي ينبغي على المفسر العناية بها وإبرازها بجلاء:

وظف ابن عاشور مقصد إصلاح الاعتقاد في تفسيره للآيات وبيانه للمراد منها، ويظهر هذا جليا عند تفسيره لقوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام"^{آل عمران: ١٩} حيث قال: "إصلاح العقيدة بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردد ولا تمويه ولا أوهام ولا خرافات، ثم يكون عقيدته مبنية على الخضوع لواحد عظيم، وعلى الاعتراف بآتصاف هذا الواحد بصفات الكمال التامة التي تجعل الخضوع إليه اختياريا، ثم لتصير تلك الكمالات مطمح أنظار المعتقد في التخلق بها ثم بحمل جميع الناس على تطهير عقائدهم حتى يتحد مبدأ التخلق فيهم... وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتداء به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح؛... وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه"⁽²⁾.

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، ج ، ص ٣ .

⁽²⁾ - التحرير والتنوير، ج ، ص 194 .

يتضح من هذا النقل إعمال ابن عاشور لمقصد إصلاح الاعتقاد في ثنايا تفسيره لهذه الآية وغيرها، مؤكداً بأن هذا المقصد هو الركيزة الأساسية والمنطلق الأول لتحقيق غاية التنزيل، وتعليم العقد الصحيح وتطهير العقول مما قد يلوثها من عقائد فاسدة.

● حفظ المال من مقاصد الشريعة التي نص عليها القرآن الكريم:

قال تعالى: "لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين" الحج: ٣٧

قال ابن عاشور: "إيماء إلى أن إراقة الدماء وتقطيع اللحوم ليسا مقصودين بالتعبد ولكنهما وسيلة لنفع الناس بالهدايا إذ لا ينتفع بلحومها وجلودها وأجزائها إلا بالنحر أو الذبح وإن المقصد من شرعها انتفاع الناس المهديين وغيرهم"⁽¹⁾.

وبعد ذلك رجح ما يراه فيما يبقى حياً؛ هل يباع وينفق ثمنه أو الأجدى ذبحه وتصبير ما زاد عن حاجة المحتاجين فينتفع به خلال العام؟

قال: "وقد ترددت في الجواب عن ذلك أنظار المتصدّين للإفتاء من فقهاء هذا العصر، وكادوا أن تتفق كلمات من صدرت منهم فتاوى على أن تصبيرها مناف للتعبد بهديها .

أما أنا فالذي أراه أن المصير إلى كلا الحالين من البيع والتصبير لما فضل عن حاجة الناس في أيام الحج، لينتفع بها المحتاجون في عامهم، أوفق بمقصد الشارع تجنباً لإضاعة ما فضل منها رعيًا لمقصد الشريعة من نفع المحتاج وحفظ الأموال مع عدم تعطيل النحر والذبح للقدر المحتاج إليه منها"⁽²⁾.

يتجلى من هذا المثال وغيره كيف أن النظرة المقاصدية حاضرة دائماً في تفسير ابن عاشور وترجيحه بين المعاني أو محاولة التوفيق بينها، وهذا من أسى ما ينبغي على المفسر العناية به، إذ من خلاله تبرز مكانة الفهم المقاصدي المنضبط وضرورته في بيان معاني الآيات والوقوف على دلالتها.

⁽¹⁾ - التحرير والتنوير، ج 7 ، ص 67 .

⁽²⁾ - التحرير والتنوير، ج 7 ، ص 68 .

الفرع الثاني: أثر المعرفة بالمقاصد في التوفيق والترجيح بين معاني الآيات.

قال تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء: ٨٢.

وضَّح ابن عاشور معنى التدبر في الآية فقال: "أفلا يتدبرون القرآن" يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق⁽¹⁾.

جعل المفسر التدبر يطلق ويراد به معنيين:

الأول: التدبر في آيات القرآن التفصيلية التي نزلت حسب الوقائع والأحداث.

الثاني: التدبر في جملة القرآن ككل وإدراك بلاغته بدون النظر إلى التفصيل.

وقد رجح بعد ذلك المعنى الأول، قائلا: "وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنى الأول أشد ارتباطا بما حكي عنهم من أحوالهم"⁽²⁾.

وهذا الترجيح استند فيه إلى إعراضهم عن مقاصد القرآن الكريم في ذكر أحوالهم، وهذا المعنى له فيه سلف فقد ذكره الإمام الشاطبي في تعليقه على الآية بقوله: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، والظاهر أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر"⁽³⁾.

وهذه الأمثلة وغيرها تطلعنا على جانب مهم من تفسير التحرير والتنوير، وهو تفعيل المفسر لمقاصد القرآن الكريم في تفسير الآيات وتوجيه معانيها، رغبة في الوصول إلى الفهم السديد للآيات.

^١ _ التحرير والتنوير، ج ، ص 137 .

^٢ _ التحرير والتنوير، ج ، ص 37- 38 .

^٣ _ الموافقات، الشاطبي، ج ، ص 209 .

المطلب الثاني: أثر مقاصد القرآن في بيان إعجازه واستنباط حكمه وأحكامه.

ملاً الفهم المقاصدي للقرآن الكريم جنبات حياة السلف الصالح، وقد اقتدى بهديهم من جاء بعدهم من العلماء والمفسرين أمثال ابن عاشور الذي أبدع في أعمال المقاصد وأحسن توظيفها في بيان إعجاز القرآن واستنباط حكمه وأحكامه.

الفرع الأول: أثر مقاصد القرآن في بيان إعجاز القرآن.

تكلم ابن عاشور عن مقصد الإعجاز في عديد المواضع منها ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين" البقرة: ٢٣ قال: "أما إدراك العرب معجزة القرآن فظاهر من هذه الآية وأمثالها فإنهم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وناوؤه وأعرضوا عن متابعتة فحاجهم على إثبات صدقه بكلام أوحاه الله إليه، وجعل دليل أنه من عند الله عجزهم عن معارضته فإنه مركب من حروف لغتهم ومن كلماتها وعلى أساليب تراكيبيها"^(١).

استدل ابن عاشور هنا على صدق النبوة بمقصد الإعجاز، أي عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم لأنه ليس كلام بشر.

الفرع الثاني: أثر مقاصد القرآن في استنباط حكمه وأحكامه.

تحدث المفسر عن الحكمة من مشروعية التيمم وجعله بدلاً عن الطهارة بالماء في قوله تعالى: "وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً" المائدة: ٦

"يدل النص على أنه عند افتقاد الماء يرخص في التيمم، والمقصد الشرعي من حكم الرخصة بالنسبة لعدم الماء أو عند العجز هو التنبيه على عظم قدر الصلاة، لأنها من قبيل المقاصد الشرعية لذلك تؤكد وجوب التطهر لها بوسيلة الماء، فإن عدمت التجأ إلى وسيلة التيمم التي أقامها الشارع مقام الطهارة. والمقصد من ذلك ألا يستشعر المسلم أنه يناجى ربه بدون تطهر، وحتى لا تفوته نية التطهر للصلاة، فلا يفوته ذلك المعنى المنتقل به من طهارة الظاهر إلى طهارة الباطن، وحتى لا يظن أن أمر الطهارة هين، وفي إقامة ذلك العمل مقام الطهارة تذكير مستمر بها حتى لا ينسى العود إليها عند زوال ما منعه"^(٢).

^١ - التحرير والتنوير، ج ، ص ١46 .

^٢ - التحرير والتنوير، ج ، ص ١9 - ١0 . بتصرف -

يظهر من المثال بيان لحكمة مشروعية التيمم، وهذا ثمرة للتوجه المقاصدي الذي بدت
ثمرته في تفسيره.

وهذا توجيه دقيق من ابن عاشور لحكمة مشروعية التيمم بناء على مقصد شرعي وهو
عظم قدر الصلاة، فراعى هنا مقاصد الشريعة.

قال تعالى: "وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" فاطر: ١٢

يقول ابن عاشور: "تقديم الظرف في قوله: "فيه مواخر" على عكس آية سورة نحل، لأن الآية
مسوقة مساق الاستدلال على دقيق صنع الله في المخلوقات، وأدمج فيه الامتنان بقوله تأكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها" وقوله: "لتبتغوا من فضله" فكان المقصد الأول من سياقها
الاستدلال على عظيم الصنع فهو الأهم هنا. ولما كان طفو الفلك على الماء حتى يفرق فيه أظهر في
الاستدلال على عظيم الصنع من الذي ذكر من النعمة والامتنان قدم ما يدل عليه وهو الظرفية في
البحر. والمخر في البحر آية صنع الله أيضا بخلق وسائل ذلك والإلهام له، إلا أن خطور السفر من
ذلك الوصف أو ما يتبادل إلى الفهم فأخر هنا لأنه من مستتبعات الغرض لا من مقصده، فهو
يستتبع نعمة تيسير الأسفار لقطع المسافات التي لو قطعت لو بسير القوافل لطالت مدة
الأسفار"⁽¹⁾.

فعلى ضوء ما سبق تبرز الأهمية البالغة لمقاصد القرآن من حيث إسهامها في توجيه المعاني
وبيانها، وابن عاشور راعاها في تفسيره فأعطته هذا التميز بل والإضافة الجديدة في تفسير كلام
الله .

وفي الختام نخلص إلى أن مقاصد القرآن الكريم أو الفهم المقاصدي للقرآن له أثره الواضح
الجلي في بعض التفاسير المعاصرة ومن أشهرها تفسير التحرير والتنوير، ولعل أبرز أثر لها يتمحور
في الإصلاح؛ إصلاح الأمة في مختلف شؤونها قال ابن عاشور: "إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى
كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم؛ لتبليغهم مراد الله، قال تعالى: "ويوم نبعث من كل أمة شهيدا
عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين" النحل: ٨٩. فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية..."⁽²⁾.

فالأمة اليوم بما تعيشه من محن واستهداف في عصر التغيرات والانفتاح في أمس الحاجة إلى
محور الإصلاح الشامل لأمر الدين والدنيا والآخرة، ولا سبيل لإصلاح حال الأمة إلا بفهم القرآن

^١ _ التحرير والتنوير، ج 2 ، ص 80.

^٢ _ التحرير والتنوير، ج ، ص ١8.

في ضوء مقاصد الشرع على نهج السلف؛ إذ "صلاح الحياة بصلاح النفوس وصلاح النفوس بتفهمها للقرآن الكريم فهما مقاصديا صحيحا يرتبط بالأصل ويتصل بالعصر"⁽¹⁾.

خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب مقاصد القرآن الكريم في تفسير التحرير والتنوير نخلص إلى جملة من النتائج، ولعل من أهمها:

- ✓ مقاصد القرآن الكريم هي تلك الغايات والمحاور الكبرى التي جاء القرآن لتحقيقها.
- ✓ للمقاصد القرآنية صلة وثيقة بتفسير القرآن الكريم.
- ✓ للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم ضوابط منهجية وقواعد ضابطة، لا بد لمريد فهم القرآن فهما مقاصديا صحيحا أن يتقيد بها.
- ✓ ظهر على بعض التفاسير المعاصرة أثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن، وأثار ذلك على الفرد والمجتمع، وهذا يدخل ضمن جهودهم في ترسيخ منهجية فهم القرآن وتطبيقه.
- ✓ كان لمقاصد القرآن الكريم الأثر الواضح في تفسير محمد الطاهر ابن عاشور، والدور البارز في جهده التفسيري، فقد أسهمت في بيان معاني الآيات وتوجيهها والترجيح بين دلالاتها المختلفة.
- ✓ يعتبر التفسير المقاصدي ملمحا تجديديا في علم التفسير.

⁽¹⁾ _ الفهم المقاصدي، مبارك المصري، ص4.

المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم.
- * الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرين الكريم، محمد المنتار، بحث مقدم في مؤتمر تدبر القرآن الكريم، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، الدوحة، يوليو 2013م.
- * التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، 1997م، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- * الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان جمال الأطرش ونشوان عبده، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، مارس 2011.
- * علم مقاصد السور، محمد عبد الله الربيعة، ط 1، 1432هـ / 2011م، مكتبة فهد الوطنية، الرياض: المملكة العربية السعودية.
- * الفهم المقاصدي بين النظرية والتطبيق، مبارك المصري، العدد 11، محرم 1438هـ / 2016م، مجلة تأصيل العلوم.
- * مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، ط 1، 1429هـ / 2008م، بيروت: لبنان.
- * الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: مشهور آل سلمان، ط 1، 1417هـ / 1997م، دار ابن عفان.
- *